

جامعة الإمارات العربية المتحدة  
كلية الشريعة والقانون  
قسم الدراسات الإسلامية

## الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي

إعداد

د/ محمد محمد محمد عيسى

جامعة الإمارات

ص.ب : ١٧٥٥١

هاتف: ٠٥٠ ٧١٣٧٢٥٧

بحث مقدم إلى

ندوة " كلية الشريعة والقانون – جامعة الشارقة

## المقدمة:

لاشك أن من سنن الله في كونه الاختلاف بين الناس، وحقيقة إنسانية طبيعية، فالناس مختلفون في ألوانهم وألسنتهم وطباعهم ومدركاتهم وعقولهم ومعارفهم، ومختلفون أيضاً في آرائهم واتجاهاتهم ومناهجهم، وكل ذلك آية من آيات الله نبه عليها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ\* إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني أن الكون كله قائم على التعددية سواء أكان ذلك في الشرائع: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لَيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أم في الأجناس والقوميات التي تبدو في اختلاف الألوان والألسنة ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد نبه القرآن الكريم أن هذا الاختلاف بين البشر ليس للنزاع والتصادم وإنما هو للتعارف والتعاون، قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>.

والتعارف الوارد في الآية هو الحوار والتفاهم، من هنا أصبح الحوار ضرورة بشرية تؤدي بهم إلى التعرف على نيات بعضهم البعض، والاتفاق على أسلوب التعاون ونبذ التنازع والصراع فيما بينهم.

وقد علمنا القرآن الكريم أن طريق الحوار هو أسلم طريق لتبليغ كلمة الحق وهو أكثر الأساليب إيجابية في معاملة الآخر من باب احترام إنسانيته واختلافه وإرادته واختياره، والحرص على كسبه إلى جانب الحق عن قناعة تامة واختيار حر، غير أن هذا السبيل ليس سهلاً ولا مفروضاً بالورود والدخول في حوار هادئ وعميق مع الآخر لا يعني أن نهايته دائماً ستكون ناجحة وموفقة، لأن المحاور سيواجه - بلا شك - إلتواءات النفس البشرية، وجهلها، واعتزازها بما ألفت، واستكبارها وحرصها على شهواتها، وهي كلها معوقات تمنعها في كثير من الأحيان من الإخلاص

(١) سورة هود: الآية (١١٨ ، ١١٩) .

(٢) سورة المائدة: الآية (٤٨) .

(٣) سورة الروم: الآية (٢٢) .

(٤) سورة الحجرات: الآية (١٣) .

في الحوار والاستمرار في رحلة البحث عن الحقيقة، وهذا سيدفعها إلى مغادرة موقعها، أو إغلاق باب الحوار والإعراض عن الطرف الآخر، وفي هذه الحالة يرشدنا القرآن الكريم إلى أن لا نقابل هذا الإعراض بالمثل، وأن لا نتسرع فتغلبنا انفعالاتنا ولا نسيء إلى العرف المنسحب فنكيل له الشتائم أو نطعن في نواياه ودوافعه، بل إن الموقف الذي يترتب عن الإيمان بالحوار كأسلوب ناجح وفاعل لحل الإشكالات يحتم علينا أن ننهي الحوار بشكل لطيف ومؤدب يحفظ لجميع الأطراف كرامتها، وينهي إلى الجانب المنسحب أو المقاطع أنه يتحمل بمفرده مسؤولية موقفه، مع الإبقاء على الأمل في فتح باب الحوار من جديد .

قال تعالى: ﴿ أَمْ يَقُولُونَ اقْتِرَاهُ قُلْ إِنْ اقْتَرَيْتُهُ فَعَلِيَ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرَمُونَ ﴾<sup>(١)</sup> وقال سبحانه: ﴿ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٢)</sup> وقال سبحانه: ﴿ قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> فهذه الآيات وغيرها ترشد إلى أقوم السبل لإغلاق باب الحوار إلى حين في انتظار أن يتحرك الفكر المسؤول وتتطلع النفس إلى معرفة الحق وتتراجع عن موقفها المتصلب المناوئ الذي قوبل بالتسامح وتعود إلى طاولة الحوار لتستأنف جولة جديدة من طلب المعرفة وهذا ما أرجوه في هذه الدراسة - والتي بلا شك - سبقني في عرضها علماء أجلاء، قد تعلمت منهم واستفدت الكثير في هذه الدراسة أسأل الله العلي القدير أن يعلمنا ما ينفعنا، وأن يجعل عملنا خالصاً لوجهه الكريم إنه نعم المولى ونعم النصير .

#### تحديد المفاهيم:

لعله يكون من المفيد قبل الخوض في الحديث عن محاور البحث أن نعرض مفهوم الحوار ودلالاته والفرق بينه وبين المصطلحات الأخرى المقاربة له:

#### أولاً: مفهوم الحوار:

الحوار في اللغة مأخوذ من الحور، والمراد به الرجوع .

(١) سورة هود: الآية (٣٥) .

(٢) سورة يونس: الآية (٤١) .

(٣) سورة سبأ: الآية (٢٥) .

يقول ابن فارس: "حَوْرٌ" الحاء والواو والراء، ثلاثة أصول أحدها لون، والآخر الرجوع، والثالث أن يدور الشيء دوراً. وأما الرجوع، فيقال حار إذا ردع، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ ﴾<sup>(١)</sup>.

والعرب تقول: الباطل في حَوْرٍ أي رجع ونقص، وكل نقص ورجوع حَوْرٌ، والحورُ: مصدر حار يحور حوراً: إذا رجع، تقول: نعوذ بالله من الحور بعد الكور، وهو النقصان بعد الزيادة<sup>(٢)</sup>.

ويقول ابن منظور: "كلمته فما رجع إلى حواراً، وحواراً، ومحاورة، وحويراً، ومحورة: أي جواباً، والاسم من المحاورة: الحوير، تقول: سمعت حويرهما وحوارهما، والمحاورة المجابرة، والتحاور والتجاوب"<sup>(٣)</sup>.

ويقول الزبيدي: "والمحاورة: المجابرة، ومراجعة النطق والكلام في المخاطبة، وتحاورا: ترجعوا في الكلام بينهم"<sup>(٤)</sup>.

ويتضح لنا من خلال ما تقدم أن كلمة الحوار تدور حول المعاني الآتية:

- (١) الرجوع والمراجعة عن الشيء وإليه .
- (٢) النقصان بعد الزيادة، وهو الرجوع عن الزيادة إلى النقصان .
- (٣) المجابرة في الكلام ومراجعة النطق .

الحوار في الإصطلاح: هو عبارة عن محادثة بين شخصين أو فريقين، حول موضوع محدد لكل منهما وجهة نظر خاصة به، هدفها الوصول إلى الحقيقة، أو إلى أكبر قدر ممكن من تطابق وجهات النظر بعيداً عن الخصومة أو التعصب، بطريق يعتمد على العلم والعقل، مع استعداد كلا الطرفين لقبول الحقيقة ولو ظهرت على يد الطرف الآخر<sup>(٥)</sup>.

(١) سورة الانشقاق: الآية (١٤) .

(٢) معجم مقاييس اللغة، مادة حور، ص ١١٥ .

(٣) لسان العرب، لابن منظور، مادة حور، ٢١٨/٤ .

(٤) تاريخ العروس: الزبيدي، مادة حور، ١٦٢/٣ .

(٥) الحوار الإسلامي المسيحي، بسام داود عجل، ص ٢٠ .

أو هو: عبارة عن مسار سجالي، ووسيلة لكشف الوجود بالخطاب العقلي، ينطلق من الرغبة إلى المعرفة الموصلة إلى جوهر<sup>(١)</sup>.

### مفهوم الجدل:

جاء في كتب اللغة أن الجَدَل: شِدَّةُ الفَئْلِ، والجَدَل: اللدُّ في الخصومة والقدرة عليها، والجدل مقابلة الحجة بالحجة<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل »<sup>(٣)</sup>.

ويتضح لنا أن كلمة الجدل تدور حول معنيين هما:

المعنى الأول: الغلبة والقوة والصلابة .

المعنى الثاني: اللد في الخصومة مع القدرة عليها .

أما الجدل في الاصطلاح فهو: دفع المرء خصمه على إفساد قوله بحجة أو شبهة، أو بقصد تصحيح كلامه، وهو الخصومة في الحقيقة<sup>(٤)</sup>.

وقد قسم علماءنا الجدل إلى قسمين:

الأول: جدول محمود: وهو ما كان من أجل تقرير الحق وهو مهنة الأنبياء في الدفاع عن العقيدة ومنه قوله تعالى ﴿ وَجَادِلْهُمْ بآئِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ .

الثاني: الجدل المذموم: وهو الذي يتعلق بتقرير الباطل ويراد به الجدل على الباطل وطلب المغالبة فيه، وقد أشار القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ ﴾ .

### مفهوم المناظرة:

معنى المناظرة في اللغة: مشتقة من النظير أو النظر<sup>(٥)</sup>.

أما في الاصطلاح: فهي النظر بالبصيرة إلى الجانبين في النسبة بين الشئيين إظهاراً للصواب<sup>(١)</sup>.

(١) معجم المصطلحات الفلسفية، د. خليل أحمد خليل، ص ٦٨ .

(٢) لسان العرب، مادة جدل، ١٠٥/١١ .

(٣) رواه الترمذي، كتاب تفسير القرآن .

(٤) التعريفات ، للجرحاني، ص ٥١ .

(٥) لسان العرب ، مادة نظر، ١٩١/١٤ .

## مشروعية الحوار في الإسلام:

يشكل الحوار في القرآن والسنة محوراً أساسياً في أبنيته ومضامينه وممارسته نظرياً وعملياً، حيث اهتم الإسلام بالحوار اهتماماً كبيراً باعتبار هذا الدين خاتماً للأديان واستمراراً لها، لذلك وضع للحوار أساساً راسخاً وبنياً شامخاً، وأقام له كيانه شامخاً وشأناً رفيعاً، وهذا ما نجده في كثير من الآيات البينات، والسنة النبوية القولية والفعلية وما دأب على أتباعه من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

وقد انطلقت الدعوة إلى الحوار في الأساس من القرآن الكريم في توجيه إلهي إلى الرسول ﷺ في آيات كثيرة، ونلمس ذلك مما تتضمنه القرآن الكريم من حوارات عملية بمختلف المستويات وفي شتى المجالات، حوارات الخالق مع خلقه، ومع أبنائه، وحوارات الأنبياء مع أقوامهم، وحوارات الأفراد فيما بينهم<sup>(١)</sup>.

ويمكن إرجاع مشروعية الحوار بين المسلمين وأهل الكتاب إلى ما يلي:

أولاً : يؤمن المسلم بصدق نبوة الأنبياء الذين تلقوا الوحي الإلهي، مثل إبراهيم وموسى وعيسى، ثم خاتمهم محمد ﷺ وكذلك بصدق أصول رسالاتهم السماوية.

ثانياً : يلبي الإسلام جميع جوانب الحياة الإنسانية، المادية والعقلية والروحية بدرجات متوازية، كما قدم للإنسان منهجاً حياتياً متكاملًا يقوم على الربط التام بين الإيمان والقول والعمل، ولا يعترف بما يهمل فيه أحد هذه الأركان .

ثالثاً : يعد الإسلام كل عمل نافع في الدنيا لا ينتج عنه أي ضرر لفاعله أو لغيره من البشر جزءاً من عبادة الله، ولا يسأل الإنسان إلا عما يفعل، وإذا ما أخطأ دون قصد، أو بقصد ثم تاب عن ذلك توبة نصوحاً، فرحمة الله وسعت كل شيء .

رابعاً : يقدم الإسلام للإنسان نظاماً اجتماعياً متكاملًا، يضم في تناسق تام، المصلحة العامة والمصلحة الخاصة، الدينية والدنيوية ويرفض رفضاً باتاً الفصل بين الدين والدنيا، وبالتالي فلا يقبل المنهج الغربي العلماني، ويستمد الإسلام هذا المنهج من طبيعة هذا الدين الحنيف المتضمنة في القرآن الكريم، والتطبيق الواقعي لهذا المنهج في عصر النبوة، حيث كان رسولنا الكريم نبياً وحاكماً لأول دولة إسلامية أسسها في المدينة المنورة، وكتب لها

(١) أجد العلوم: ٤٧/١ .

(٢) مجلة النبأ، العدد الخامس والأربعين، مايو ٢٠٠٠، مقال بعنوان: الإسلام وفرص الحوار مع الغرب، أ. إبراهيم محمد جواد .

دستورها الذي تضمن تنظيمًا دقيقًا لكل ما احتاجته من مؤسسات وقوانين عرفت في كتب السيرة بصحيفة المدينة .

خامساً: الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل قادر، ولم يحاربه كما يدعي البعض، ويكفي أن أول خمس آيات نزلت منه تأمر بالقراءة وطلب العلم، قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ، الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾<sup>(١)</sup> ويذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك في تكريم العلماء فيقول رسولنا الكريم: « العلماء ورثة الأنبياء »<sup>(٢)</sup> فلا وجه إذن لمقارنة الإسلام بالكنيسة في هذا الصدد كما يفعل العلمانيون من الغربيين أو المستعربين الشرقيين .

سادساً: تتفق الحقائق العلمية الثابتة التي توصل إليها العلم في العصر الحديث مع تفسير النصوص القرآنية الواردة في تلك المجالات منذ عدة قرون. ويفسر لنا ذلك سبب التقدم العلمي الهائل الذي تميزت به الحضارة الإسلامية في عصر قوتها الأولى .

سابعاً: أثبت الإسلام قدرته على التعامل مع كل المستجدات والمتغيرات الاجتماعية التي تطرأ على الحياة بفعل تغير الزمان والمكان بواسطة منهجه الفقهي المرن والمتعدد الوسائل "الأدلة الشرعية" حيث يحتل العقل السليم الموضع اللائق به وبصفته مناط التكليف في الإسلام ويأتي في المرتبة التالية بعد القرآن الكريم والسنة لكونه أساس الاجتهاد والطريق الرئيس للإجماع والقياس وسائر الأدلة الأخرى .

ثامناً: الحرية السياسية المتمثلة في حرية التعبير عن الرأي والمشاركة في الحكم مكفولة في الإسلام ومنصوص عليها في القرآن الكريم، ومطبقة في السنة النبوية، وسنة الخلفاء الراشدين، وقد أرسى الإسلام بذلك القواعد الأولى لنظام "ديمقراطي" تتعدد فيه المؤسسات والاختصاصات يأتي على قمته مجلس الشورى أو مجلس "أهل الحل والعقد" حسب التعبير الإسلامي .

تاسعاً: كان الإسلام ولا يزال منفتحاً على الثقافات الأخرى، وكان على المسلمين التعامل والتفاعل باستمرار مع عناصر ثقافية غربية وجدها في البلاد التي فتحها، وأخذوا منها ما رأوا فيه

(١) سورة العلق: الآيات ( ١ - ٥ ) .

(٢)

فائدة، وتركوا غير ذلك دون خوف على هويتهم الإسلامية، وعملاً بقول رسولنا الكريم  
«الحكمة ضالة المؤمن أنا وجدها فهو أحق الناس بها»<sup>(١)</sup>.

عاشراً: يوجد في الإسلام جهاز مناعة ذاتية يبدأ العمل عندما يتخطى التأثير الخارجي حدود  
الإيجابية، وينقلب إلى تعريب ثقافي يهدد استقلال الهوية الإسلامية، ولا يتوقف جهاز  
المناعة الذاتية عن العمل حتى يعيد التأثير الغريب إلى ما دون حد الخطر، ولقد عرف النبي  
ﷺ هذا الخطر قبل حدوثه فأخبرنا بأن «الله يبعث في هذه الأمة على رأس كل مائة عام من  
يجدد لها دينها»<sup>(٢)</sup>»<sup>(٣)</sup>.

تعد هذه العناصر الأساسية والتي ينطلق من خلالها الإسلام في التفاعل مع الآخر وذلك من  
منطلق الحوار والمجادلة والتي هي أحسن انطلاقة من قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ  
وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(٤)</sup> فالآية تدعو إلى مخاطبة الآخر بالحسنى لكي  
يعرف ما عند المسلمين، لا أن يحاوره كي يتنازل له عن مبادئه، وقال أيضاً: ﴿ وَلَمَّا تَجَادَلُوا أَهْلَ  
الْكِتَابِ لِمَا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِمَا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا  
وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٥)</sup> فالحوار ممكن لأن هناك قواسم مشتركة، وهناك مجال للتفاهم  
والتقارب، فالإسلام يعطينا أسلوب بدء اللقاء والحوار، وكيف نستغل نقاط التلاقي بين المتحاورين،  
فبين الأصول التي يمكن الاتفاق عليها ويركز على ذلك فيقول: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ  
سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ  
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٦)</sup> ثم يبين الإسلام نوع العلاقة التي يجب أن تسود  
المسلمين وغيرهم، إنها علاقة التعاون والإحسان والبر والعدل فهذا هو الحوار الحضاري والعلاقة  
السمحة قال تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ  
تَبْرُوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾<sup>(٧)</sup>.

(١) رواه الترمذي ، كتاب العلم .

(٢) ذكره أبو داود في الملاحم .

(٣) المسيحية والإسلام من الجوار إلى الحوار ، د. السيد محمد الشاهد ، ص ١٢ ، ١٣ .

(٤) سورة النحل: الآية ( ١٢٥ ) .

(٥) سورة العنكبوت: الآية ( ٤٦ ) .

(٦) سورة آل عمران: الآية ( ٦٤ ) .

(٧) سورة الممتحنة: الآية ( ٨ ) .



إذن فالإسلام يقر الحوار ويدعوا إليه ولكن يؤكد على الثبات على المبادئ، وعدم التنازل عن الهوية قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾<sup>(١)</sup>.

### أهداف الحوار:

كل أمر يمارس في الحياة قولاً أو فعلاً لا بد له من هدف، لأن الحياة لا تسير نحو غاية مجهولة، فإله سبحانه وتعالى يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا... ﴾<sup>(٢)</sup> ووسيلة التعارف هي الحوار، والحوار أهدافه كثيرة منها:

- (١) الدعوة إلى الله وإقامة الحجة على الناس ببيان محاسنه وفضائله وحثهم على اتباع أوامره .
- قال تعالى: ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فُقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> . وتطبيقاً لهذه الآية فقد أرسل النبي ﷺ أكثر من خمسين رسالة إلى الملوك والرؤساء ويدعوهم فيها إلى الإسلام والترغيب فيه<sup>(٤)</sup> .
- (٢) كشف الشبهات وتفنيدها الأباطيل التي تثار حول الإسلام وكما ذكر ابن تيمية - رحمه الله - "إن كثيراً من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون أجوبة عليها"<sup>(٥)</sup> والحوار هو الذي يحقق ذلك الهدف .
- (٣) الحوار الإسلامي مع غير المسلمين وسيلة فعالة لمنع حدوث الفتن الطائفية، التي يمكنها تمزق كيان الأمة الواحدة، التي يعيش المسلمون وغير المسلمين حيث تستغل بعض الجهات الخارجية هذا الواقع لبت بذور الفتن والشقاق والتناحر بين أبناء الوطن الواحد، بحجة هذا مسلم وهذا غير مسلم، الأمر الذي يؤدي إلى تقسيم ذلك الوطن إلى دويلات متفرقة، أو يؤدي إلى حروب داخلية متواصلة .

(١) سورة آل عمران: الآية ( ٨٥ ) .

(٢) سورة الحجرات: الآية ( ١٣ ) .

(٣) سورة آل عمران: الآية ( ٦٤ ) .

(٤) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة ، محمد حميداً الله ، ص١٠٢ وما بعدها .

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ابن تيمية ، ج ١ ، ص ٧٦ .

وهنا لا بد من الإشارة إلى ملاحظة مهمة وهي: أنه إذا فكر بعض المسيحيين الذين يعيشون بين المسلمين، إذا فكر هؤلاء في بعض الأوقات بطلب الحماية لأنفسهم من قبل الدول الأجنبية عنهم، بحجة الخوف على مصيرهم وحقوقهم بين المسلمين .

فإن هذا التفكير خاطئ ومنحرف، حيث أثبتت التجارب والوقائع التاريخية أن المسيحيين الذين يعيشون مع المسلمين في بلادهم لا سند لهم مطلقاً، ولا حماية لحقوقهم ولا تأمين لمصيرهم إلا من قبل المسلمين .

والسبب في ذلك هو أن المسلمين عندما يدافعون عن المسيحيين في بلادهم ويحمونهم من شتى الأخطار إنما يفعلون ذلك بدافع ديني منهم وفرض شرعي عليهم، نابع عن عقيدة راسخة بأن المسيحيين معهم إنما هم في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ على حين أن الدول الأجنبية التي تدعي أنها تريد حماية المسيحيين في بلاد المسلمين إنما تفعل ذلك بدوافع استعمارية ولأجل مصالح سياسية واقتصادية وغيرها .

وقد جاء في كتاب "من يحمي المسيحيين العرب؟" وهو دراسة وتحليل تاريخي وواقعي حتى عام (١٩٨٥) إثبات من قبل الكاتب - وهو المسيحي الماروني - أنه لا يمكن أن تأتي دول أوروبا الغربية باسم المسيحية لحماية المسيحيين في بلاد المسلمين التي يعيش فيها المسيحيون، وإنما الحماية الحقيقية للمسيحيين في البلاد العربية هي اتجاه المسيحيين للتلاحم والتفاهم مع المسلمين في هذه البلاد ليتابعوا سوياً المسيرة التاريخية الرائعة في التآخي الإنساني والتعايش السلمي الذي سجله المسلمون والمسيحيون في هذه البلاد عبر العصور التاريخية المتوالية"<sup>(١)</sup> .

(٤) يضاف إلى ما سبق: فإن الحوار بين الأديان يؤدي بدوره إلى الوقوف ضد كل ما هو معادي للرسالات الثلاث من قيم وعقيدة وأخلاق تدمر الإنسانية وتفسد الحياة .

(٥) يهدف الحوار بين الأديان السماوية إلى إبراز القيم الإنسانية والمعاني الروحية، والمفاهيم الدينية التي تعمق روح الإخاء والحب والطمأنينة والسلام، ونبذ العنف، واحترام الآخر .

#### آداب الحوار:

للحوار آداب يجب أن يلتزم بها المتحاورون، لجعل الحوار ودياً وهادفاً، الأمر الذي يساعد على إنجاحه وتفعيله، وتحقيق النتيجة المرجوة منه، ومن أهم هذه الآداب ما يلي:

(١) من يحمي المسيحيين العرب، فيكتور سحاب نقلاً من "الحوار في الكتاب والسنة، د. بسام داود عجل، ص ١٨، ١٩ .

(١) التزام القول الحسن، وتجنب منهج التحدي والإفحام:

إن أهم ما يتوجه إليه المحاور في حوار، التزام الحسنى في القول والمجادلة، ففي محكم التنزيل: ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقوله سبحانه: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ، اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

كذلك على المحاور تجنب أسلوب التحدي والتعسف في الحديث، ويتعمد إيقاع الخصم في الإحراج، ولو كانت الحجة بينة والدليل دامغاً، فإن كسب القلوب مقدم على كسب المواقف. غير أن هناك بعض الحالات الاستثنائية التي يسوغ فيها اللجوء إلى الإفحام وإسكات الطرف الآخر، وذلك فيما إذا استطلت وتجاوز الحد، وطغى وظلم وعادى الحق، وكابر مكابرة بينة. وفي مثل ذلك جاء قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وقوله: ﴿ لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ ﴾<sup>(٥)</sup> .

(٢) تقدير الخصم واحترامه:

ولا شك أن الاعتراف بالخصم واحترامه يشكل قاعدة مهمة للحوار لكونها تنطلق من دعوة ربانية ﴿ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ ﴾<sup>(٦)</sup> .

فهي قاعدة تربوية عظيمة في الإسلام وجدت ضمن مناهج القرآن لتؤكد على احترام الآخرين وعدم تجاوزهم أو إسقاطهم من الحساب في الحوار والمناقشة، أياً كان هذا الآخر أو مدى اختلافنا معه في إطار آداب الحوار ومقتضياته<sup>(٧)</sup> .

وهذا لا ينافي تصحيح الأخطاء بأساليبه الرفيعة، وطرقه الوقورة، فالتقدير والاحترام غير الملق الرخيص، والنفاق المرذول، والمدح الكاذب والإقرار على الباطل .

(١) سورة الإسراء: الآية (٥٣) .

(٢) سورة البقرة: الآية (٨٣) .

(٣) سورة الحج: الآيتان (٦٨ ، ٦٩) .

(٤) سورة العنكبوت: الآية (٤٦) .

(٥) سورة النساء: الآية (١٤٨) .

(٦) سورة الأعراف: الآية (٨٥) .

(٧) مجلة النبأ ، العدد ٥٩ ، الحوار والاعتراف ، لحسن علي ، ص ٤ .

كما أن حماية المحاور وطرح وجهة نظره واحترامها، حتى ولو خالف العقيدة العامة للناس، وتفرد برأي مغاير يصدم أحياناً الآراء المخالفة في الجانب الآخر لطرف الحوار، كأن يتهم بالكفر والضلال والزندقة والمروق عن الدين وما إلى ذلك<sup>(١)</sup>.

إن تبادل الاحترام يقود إلى قبول الحق، والبعد عن الهوى، والانتصار للنفس الأمارة بالسوء

### (٣) الالتزام بوقت محدد في الكلام:

ينبغي أن يستقر في ذهن المحاور ألا يستأثر بالكلام، ويستطيل في الحديث ويسترسل بما يخرج به عن حدود اللياقة والأدب والذوق الرفيع ومن المفيد أن نعلم، أن أغلب أسباب الإطالة في الكلام ومقاطعة أحاديث الرجال يرجع إلى ما يلي:

أ - إعجاب المرء بنفسه .

ب- حب الشهرة والثناء .

ج- ظن المتحدث أن ما يأتي به جديد على الناس .

د - قلة المبالاة بالناس في علمهم ووقتهم وظرفهم<sup>(٢)</sup> .

والذي يبدوا أن واحداً منها إذا استقر في نفوس السامعين كاف في صرفهم وصدودهم، وملهم، واستتقالهم لمحدثهم.

ومن الخير للمتحدث أن ينهي حديثه والناس متشوقة للمتابعة، مستمتعة بالفائدة، هذا خير له من أن تنتظر الناس انتهاءه وقفل حديثه .

### (٤) حسن الاستماع وأدب الإنصات وتجنب المقاطعة:

الصمت بالنسبة للحوار ليس موقفاً سلبياً، وإنما هو إجراء إيجابي يمثل خطوة نحو الكلام الصائب، وفي هذا تقول العرب: "إذا أردت أن تقول الصواب في اللحظة المناسبة فعليك أن تسكت أغلب الوقت" كما أن الصمت غالباً ما يكون طريقاً إلى العلم والحلم، يقول أحد الحكماء "إذا جالست العلماء فأنصت لهم، وإذا جالست الجهال فأنصت لهم أيضاً، فإن في إنصاتك للعلماء زيادة في العلم، وفي إنصاتك للجهال زيادة في الحلم" كما أن الإصغاء أدب رفيع وخلق حسن يوصل إلى الفهم والتفهم، فإن من حسن الأدب أن لا تغالب أحداً على

(١) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي، محمد حسين فضل الله، ١٤ .

(٢) أصول الحوار وآدابه، صالح بن عبدالله بن حميد، ص ٢ .

الكلام، وإذا سئل غيرك فلا تجب عنه، وإذا حدث بحديث فلا تنازعه إياه ولا تقتحم عليه فيه" (١).

إن السماع الجيد يتيح القاعدة الأساسية لالتقاء الآراء، وتحديد نقاط الخلاف وأسبابه، كما أن حسن الاستماع يقود إلى فتح القلوب وراحة النفوس تسلم فيه الأعصاب من التوتر والتشنج، كما يشعر بجدية المحاور، وتقدير المخالف، وأهمية الحوار، ومن ثم يتوجه الجميع إلى تحصيل الفائدة والوصول إلى النتيجة .

(٥) التسليم للحق والاعتراف بالصواب بعد قيام الحجة والبرهان من أحد المتحاورين، وعدم التعصب للرأي إذا ثبت خطئه .

ولذلك من آداب الحوار وأصوله أن يوطن الشخص نفسه على الرضا والإقناع والتسليم للحق الذي ظهر في الحوار والمناقشة على لسان الآخر ورأيه، وعليه أن يستيقن أن الآراء والأفكار ليست ملكاً لأحد أو جنس أو طائفة، والصواب ليس حكراً على أحد بعينه.

إن من الخطأ البين أن يظن أحد من الناس أن الحق لا يغار عليه إلا هو ولا يحبه إلا هو ولا يخلص له إلا هو (٢) .

إن التعصب للرأي مع وجود الحجة والبرهان ينشئ العصبية المقيتة والاعتقاد الخاطئ بامتلاك الحقيقة، ولذلك توجهت الخطابات الشرعية ضد هذا المفهوم السلبي واعتبرته متجاوزاً للحق والعدل، وقد ورد في القرآن الكريم ذم لإبليس، وطرده من ساحة القرب الإلهي لأنه قد أصيب بهذا المرض ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ﴾ (٣) . وبهذا استحق أن يكون مبتدعاً للعصبية وإماماً للمتعصبين .

#### مبادئ وأسس الحوار الديني:

إن صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان وباختلاف الأصول تجعله ومننسيه يضع مبادئ وأسس لإنجاح الحوار، منطلقاً من خصوصياته في تحديد علاقة المسلمين بغيرهم فأهمها :

(١) الحوار الذات والآخر، د. عبدالستار الهبيتي، ص ٨٤، كتاب الأمة .

(٢) أصول الحوار وآدابه : ص ٣ .

(٣) سورة ص: الآية ( ٧٦ ) .

## (١) الدعوة إلى الله تعالى:

تعد الدعوة إلى الإسلام من أهم معالم الإسلام العامة والخاصة إذاً فالحوار هو في الحقيقة التطبيق العملي لمبدأ الدعوة إلى الإسلام مع القريب والبعيد والعدو والصديق ومع كافة أصناف البشر ومختلف العقائد والتيارات الفكرية وسائر الملل والنحل .

والآيات التي تحدثت عن هذا المبدأ كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾<sup>(١)</sup> . وقوله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾<sup>(٢)</sup> .

والمهمة الأولى في قضية الدعوة إلى الله تعالى هي: عرض الإسلام بجوهره الحقيقي وثوبه القشيب ووضوح رسالته وإبراز جماله وشموله لكل جوانب الحياة الإنسانية الخاصة والعامة، وصلاحيته تشريعه لكل زمان ومكان وأن رسالة الإسلام ما جاءت إلا لتسعد الإنسانية جمعاء، وتوضح لهم سبل النجاة والأمن والاطمئنان والعيش بسلام ومحبة وإخاء<sup>(٣)</sup>، يقول الله تعالى عن مهمة الرسول الكريم ﷺ ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾<sup>(٤)</sup> .

## (٢) الحوار بالحكمة والموعظة الحسنة والرفق واللين في الخطاب وذلك تطبيقاً لقوله تعالى:

﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(٥)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾<sup>(٦)</sup> ، وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾<sup>(٧)</sup> .

## (٣) الحرية الفكرية المطلقة المتحررة من أي ضغط أو إكراه، قال تعالى:

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾<sup>(١)</sup> ، وقال: ﴿ فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ، أَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴾<sup>(٢)</sup> ، وقال كذلك: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾<sup>(٣)</sup> .

(١) سورة آل عمران: الآية (١٠٤) .

(٢) سورة فصلت: الآية (٣٣) .

(٣) الحوار في الكتاب والسنة، د. بسام داود عجل، ص ٩، بحث منشور ضمن أعمال مؤتمر الحوار الحضاري والثقافي أهدافه ومجالاته، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، الدورة الخامسة ١٤٢٥ هـ .

(٤) سورة الأنبياء: الآية (١٠٧) .

(٥) سورة النحل: الآية (١٢٥) .

(٦) سورة آل عمران: الآية (١٥٩) .

(٧) سورة العنكبوت: الآية (٤٦) .

#### (٤) ضرورة التجرد عن الأحكام المسبقة:

وهذا هو الأسلوب العلمي الذي يقوم على تفريغ الحوار من الأفكار المسبقة بين المتحاورين والتي تحول دون الوصول إلى الصواب وتشكل حافراً نفسياً يصعب اختراقه .

وقد أرشد القرآن الكريم إلى الأخذ بهذه القاعدة حينما وجه النبي ﷺ إلى السير على منوالها في مناظرته مع المشركين فأمره أن يقول لهم كما جاء في سورة سبأ: ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾<sup>(٤)</sup> ، وفي هذا إعلان ورغبة عن نشدان الحقيقة أنى كانت وعدم التعصب لرأي سابق، ولما كانت المناظرة حول موضوع العقيدة، وهي توحيد الله عز وجل والتخلي عن الشرك بشتى صورته، فكأنها تدور بين أمرين على طرفي نقيض لا يجتمعان أبداً، فإما التوحيد، وإما الشرك، ولا بد أن يكون الحق في واحد منهما، وهو حتماً مع النبي ﷺ لأنه يدعو إلى التوحيد، فكانت عبارة التخلي عن التعصب لأمر سابق من النبي ﷺ في حد ذاتها تحمل اعترافاً وإقراراً لحقيقة التوحيد التي يدعو إليها النبي ﷺ ويناظر من أجلها<sup>(٥)</sup> .

إذن ليس في أسلوب القرآن الكريم مبدأ: نحن على الحق والهدى، وغيرنا على الضلال، إذ لا يمكن أن يطلق هذا الحكم مقدماً قبل البحث والاستدلال وإقامة الحجة والبرهان .

(٥) ليس من لوازم كل حوار الوصول إلى اتفاق ما، لكن من اللازم والضروري أن لا يكون الحوار مدخلاً إلى الصراع والنزاع، وإنما إلى مزيد من الحوار ومحاولات اللقاء والتعايش .

فبالتأني والصبر قد تتكشف الحقائق، وبالعصبية والعنف يزداد كل طرف تمسكاً بمنطلقاته الفكرية والسلوكية، ورفضاً لما عند الآخر من أفكار وسلوك، وهذا بدوره يؤدي إلى مزيد من العزلة والتفوق، فمزيد من التوجس والخوف، ثم إلى مزيد من الصراع والنزاع .

#### (٦) مبدأ التعايش السلمي:

(١) سورة البقرة: الآية (٢٥٦) .

(٢) سورة الغاشية: الآية (٢٢) .

(٣) سورة يونس: الآية (٩٩) .

(٤) سورة سبأ: الآية (٢٤) .

(٥) ضوابط المعرفة، الشيخ عبدالرحمن حسن الميداني ، ص ٣٦٣ .

ويعتبر هذا المبدأ نهاية المطاف في الحوار لتبدأ مرحلة جديدة من العلاقات القائمة على الاحترام المتبادل بين المسلمين وغير المسلمين، وهي مرحلة التعايش السلمي، وعدم تعرض كل طرف لمقدسات ومعتقدات الطرف الآخر .

والإسلام هو الدين الوحيد الذي حمل لواء فكرة التعايش السلمي بين الأديان، وذلك عندما لا يجدي الحوار في أمور العقيدة، وحتى لا يتحول الحوار إلى جدال متوتر ينسف كل أجواء التعايش من أساسها ويبدو هذا المبدأ واضحاً في تطبيقات النبي ﷺ مع وفد نصارى نجران، حين وصل الحوار إلى طريق مسدود، وتوقفت القدرة على الحوار، عند ذلك تحول الرسول ﷺ إلى مبدأ التعايش السلمي، ووضع مبادئ العيش المشترك من خلال معاهدته مع وفد نصارى نجران .

ومن أبرز مظاهر التعايش الذي ساد الحضارة الإسلامية عبر العصور أن الإسلام يعتبر اليهود والنصارى أهل ديانة سماوية، حتى وإن لم يكن هذا الاعتبار متبادلاً، وعلى الرغم من أن عدم الإيمان بنبوته محمد ﷺ هو عندما أمر عظيم وشأن خطير، بل هو أمر فارق، فإن الإسلام قد استوعب هذا الخلاف، لا بالتهوين من أمره أو المهادنة العقيدية له، ولكن بما رسمه في باب المعاملات من تعاليم تسمح بالتواصل والتراحم رغم خلاف المعتقد<sup>(١)</sup> .

هذه بعض المبادئ والأسس التي أرساها الإسلام للحوار، والتي ينبغي لكل من طرفي الحوار أن يعيها في فكرة وسلوكه، لكي يكون الحوار حياً مثمراً مفيداً لكل الأطراف .

### شروط الحوار:

إذا أردنا للمحاورة أن تتجح وتحقق أهدافها، فلا بد وأن تتوافر فيها مجموعة من الشروط من أهمها:

### الشرط الأول: التكافؤ:

وهذا الشرط الذي يراه البعض هو الأجدر بنجاح الحوار وتفعيله، لأنه البديل عن التمايز والتفاوت في مستويات المتحاورين، بحيث لا يحس أحدهما بالدونية، إذ ليس من الطبيعي أن يجري الحوار على أساس الأقوى والأضعف أو الأعلى أو الأسفل أو صاحب الحق وغيره حجة باطلة، إلى غيرها من المقابلات المخلة بالتعامل المتوازن، التكافؤ والمساواة في الحوار من هذا المنطلق هما الطريقة الممكنة لبناء مقومات التفاهم والانفتاح على الآخر، بحيث يفهم كل طرف من أطراف

(١) رسالة إلى العقل العربي المسلم ، د. حسان حنوت ، ص ١٥٥ ، دار المعارف .



الحوار غيره وينفتح على آرائه وأفكاره والتعرف على آلياته في التفكير، ومنطقه الذي يحمله عن الآخر، حتى يمكن إزالة الأحكام المسبقة والأفكار غير الصحيحة لتتقارب الآراء وينجح الحوار بمستوياته العادلة .

### الشرط الثاني: الاحترام المتبادل:

في اعتقادي أن قضية الاحترام المتبادل مسألة هامة في مسار الحوار، وهذه أيضاً نظرة الإسلام ومنهجه إلى الآخر المختلف، فالمسلم الحق يعرف للناس أقدارهم ويحترم الآخر وإن لم يواده، فالحضارة الغربية - وخاصة في قرونها الأخيرة - فرضت نفسها كحقيقة ليس لمن يريد التعايش معها أن ينكرها وطرحت حضارة الغرب رؤى ونظرات، وإن لم تتفق معها بجملتها، فلا يمكن إغفالها، وعلى العاقل الحصيف أن يتلمس أسباب التقاهم معها، وأن يقيم الحوار مع عقلائها وأن يميز بين المعتقد الذي لا نقبل المساس به وبين أوجه المعاش التي نحترم ما أصله الغرب في ميدانها .

### الشرط الثالث: تحديد أهداف وقضايا الحوار:

هذا الشرط يعتبر من الشروط الهامة في الحوار، إذ بدون تحديد أهداف ومرامي الحوار وقضايا المطروحة لن يصل المتحاورون إلى غايات مرجوة، فتحديد القضايا والأهداف تشكل مدخلاً هاماً لا يحيد عنه طرف من الأطراف، وتتحدد بالتالي عناصر القضية المطروحة، حتى لا يكون الحوار دائراً في حلقة مفرغة " حوار الطرشان" كل يتحدث بلغة مختلفة، وبمفاهيم مختلفة لا تربط بينهما أرضية مشتركة.

### الشرط الرابع: تهينة الأجواء الهادية للحوار:

إن الأجواء الهادية في الحوار تسهم إسهاماً إيجابياً في تقريب وجهات نظر المتحاورين، وتجعلهم يحكمون العقل والمنطق بدل العاطفة والانفعال الذي - بلا شك - لا يخدم أطراف الحوار ولا يدفعهم إلى التقاهم والتعاون والإصغاء العقلاني في القضايا المطروحة في هذا الحوار.

وقد واجه النبي ﷺ قومه بمثل هذه الأجواء الهادية والحوار المنطقي دون توتر أو انفعال، على الرغم من أن هؤلاء القوم كانوا أكثر تشنجاً وانفعالاً و عنفاً معه ﷺ ومع أصحابه رضوان الله عليهم، ومع ذلك قال قولته المشهورة فيهم « اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون » .

وقد صور لنا القرآن الكريم ذلك في ما نقله لنا من أسلوب النبي محمد ﷺ في الحوار مع خصوم العقيدة، عندما واجهوه بتهمة الجنون، فقد دعانا إلى أن نتجرد عن هذا الجو الانفعالي، إذا ما أردنا أن نتبنى فكرة أو نرفضها أو ننسجم مع موقف أو نبتعد عنه .

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظَمُ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلِي وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِّنْ جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴾ (١) .

#### الشرط الخامس: الانطلاق من المبادئ المتفق عليها:

لكي يتحقق لحوار النجاح المأمول ينبغي الانطلاق من القضايا والموضوعات المتفق عليها بين الجانبين، أو التي يجب أن توفر مجالاً رحباً للاتفاق وليس الاختلاف، فينطلق الحوار من الموضوعات التي تشغل الإنسانية، وتؤرق ضميرها خاصة في قضايا محاربة الظلم والعدوان على حقوق الإنسان، وإقرار حق الشعوب في تقرير مصيرها، ومناهضة روح الهيمنة وفرض النظام ذي المنزع الفكري والثقافي الواحد على المجتمعات الدولية، قسراً وأن يسعى الحوار إلى ذلك، نحو منع العدوان بكل أشكاله ضد الشعوب الطامحة إلى الحرية والاعتناق، وأن يكون الحوار بين الحضارات على جميع مستوياته وسيلة للوقوف ضد حرمان الشعوب من حقوقها التي أكدت عليها المواثيق الدولية، وكفاتها الشرائع السماوية، وضمنتها المبادئ الإنسانية .

#### الشرط السادس: العدل الموضوعية:

إن نظرة الإسلام إلى الحوار نظرة موضوعية شاملة تقوم على احترام الرأي الآخر، ونبذ كل تعصب أو تنطع في الرأي، أو ضيق بالحوار والمناقشة، وتنبين نظرة الإسلام إلى الحوار أنها نظرة عادلة لا تتغير سواء كان المحاور مؤمناً أو غير مؤمن، ففي قضية نفر من المسلمين أرادوا إصاق تهمة سرقة ببعض اليهود باطلاً ليبعدوها عن أنفسهم، قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا، يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِيَّا يَبْيُتُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا، هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ جَادَلْتُمْ عَنْهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ (٢) .

من هنا ندرك مدى القيمة التي يعطيها الإسلام للفكر وللعقل في مجال الحوار إذ بذلك أقام صرح الحوار على أسس أصيلة من العدل تعطي للإنسان حق الدفاع عن نفسه وعن رأيه وموقفه

(١) سورة سبأ: الآية (٤٦) .

(٢) سورة النساء: الآيات (١٠٧ - ١٠٨) .

إزاء أسرته، وإزاء مجتمعه وإزاء القائمين على الأمر، بل وإزاء الحق سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (١) (٢) .  
معوقات الحوار بين الإسلام وأهل الكتاب:

الحوار مع أهل الكتاب أيدته الكثير من الآيات القرآنية، لكننا في الآونة الأخيرة نجد اليهود لم يلتزموا بقيم وآداب الحوار، أو الالتزام بالمعاهدات والقوانين الدولية، حيث قام أفراد من اليهود ومعاونيهم بطرد الفلسطينيين من أرضهم واحتلالها بقوة السلاح، ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل إن المعتصبيين سوغوا لأنفسهم شرعية تشريد الآلاف من الناس، والإتيان بكل يهود العالم إلى أرض فلسطين، لتصبح هذه ممنوعة من أهلها الذين سكنوا فيها منذ مئات السنين، ومستباحة للناس الذين لا يعرفون شيئاً من ملامحها ومعالمها التاريخية القريبة والبعيد هذا الواقع هو ما جعل اليهودية خطر على الواقعين السياسي والأمني على المسلمين وغيرهم .

وبهذا اتخذ العنوان اليهودي في حياة المسلمين عنوان الذين ظلموا، انطلاقاً من التعبير القرآني في الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِنَّا بِالَّذِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾ (٣) فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية يستثني الظالمين من حركة الحوار، الذين لا يمكن أن يتحدث الإنسان باللغة الأحسن، لأنهم لا يفهمونها ولا يريدون الانطلاق من مواقعها، ولو كانوا كذلك لما ظلموا الناس واغتصبوا حقوقهم، هذا النوع من الناس لا بد من مواجهتهم بكل الوسائل التي تردعهم وتسقط ظلمهم" .

إن قضية الحوار عند المسلمين تعتبر مناهجاً وطريقاً للتواصل مع الآخر لكن في ظل احترام الحوار وقيمه، لكن اليهود في عصرنا الراهن تجاهلوا معايير الحوار مع العرب والمسلمين، وأصروا على انتهاج العدوان، وانتهاك كرامة الإنسان، واغتيال حقوقه ومقومات وجوده لصالح نزوات ومطامح الأيدلوجية الصهيونية العالمية ومقاييسها الظالمة. أما إذا رضخ اليهود للحق، وأعطوا كل ذي حق حقه، وتخلوا عن الإرهاب الدولي عند ذلك لا مانع من الحوار معهم شأنهم شأن أي أصحاب دين أو ملة أو حضارة أخرى (٤) .

(١) سورة النحل: الآية (١١١) .

(٢) الإسلام وحوار الحضارات في القرن الحادي والعشرين، عبدالله علي العليان، ص ٨٠ - ٨٧ بتصرف واختصار .

(٣) سورة العنكبوت: الآية (٤٦) .

(٤) في آفاق الحوار الإسلامي المسيحي ، محمد حسين فضل الله ، ص ٣٣ .

أما بالنسبة للحوار الإسلامي المسيحي فإنه يواجه في الآونة الأخيرة عقبات وتحديات كثيرة أهمها - كما أرى - هذه الهجمة الشرسة على الإسلام وعقائده ورسوله محمد ﷺ .

في محاضرة ألقاها فوكو ياما في مدينة ميلبورن ناقش أفكار المعارضين لنظريته « الصدام بين الغرب والإسلام » الذين يرون أن دول الغرب ليست كياناً واحداً متماسكاً وبينها اختلافات فقال: إن العالم الآخر - أي الإسلام - هو الكيان المفكك، وهو كيان بعيد عن مفاهيم العصر، وليس له حضور أو تأثير في الساحة الدولية، ولذلك فإن مصيره محاط بالشكوك، وإن كان الإسلام الراديكالي يمثل تحدياً إيديولوجياً للغرب في الوقت الحالي، ويقاوم الديموقراطية والليبرالية، وتبدو هذه المقاومة تحدياً للغرب يفوق التحدي الذي كانت تمثله الشيوعية إلا أن هذا التحدي لن يدوم طويلاً، ولن يكون الإسلام هو البديل المقبول الذي يمكن أن يسود في العالم في هذا العصر، لأن الإسلام في صورته الحالية غير مقبول من غير المسلمين .

إن المتتبع لتاريخ العلاقات ما بين الغرب والإسلام يلاحظ حقداً مريراً يملأ صدر الغرب، ويصاحب هذا الحق خوف رهيب من الإسلام إلى أبعد نقطة في النفسية الأوربية، هذا الحقد وذلك الخوف لا شأن لنا بهما إن كانا مجرد إحساس نفسي شخصي، أما إذا كانا من أهم العوامل التي يتبلور مواقف الحضارة الغربية من الشعوب الإسلامية سياسياً واقتصادياً، وحتى هذه الساعة فإن الموقف يتغير بشكل حاسم .

فقد أصبح وجود تلميذة مسلمة تغطي رأسها في مدارس الغرب أمراً يشغل الرأي العام الغربي كله بوصف ذلك أمراً يتعارض مع التقاليد والحضارة الغربية، ولأنه في الوقت نفسه يذكر الناس هناك بالإسلام وهذا في حد ذاته أمر غير مرغوب فيه. وينتهز أعداء الإسلام في الغرب حقيقة ضعف المسلمين في العالم الإسلامي وتخلفهم بإرجاع ذلك التخلف إلى الإسلام ذاته، وفي المقابل إرجاع تقدم المجتمع المسيحية إلى المسيحية ذاتها، في حين أن الإسلام كدين لا صلة له بتخلف المسلمين، كما أن المسيحية كدين لا صلة لها بتقدم المجتمعات الغربية .

إن الإسلام اليوم يتعرض لأبشع الحملات الإعلامية وموجات الكراهية والتخويف من جانب المجتمع الغربي المسيحي، وهي حملات ليست موجهة ضد المسلمين كأشخاص فحسب بل ضد الإسلام بوصفه ديناً غير مرغوب فيه .

وقد ترسخ في العقلية الغربية أن الإسلام دين عدواني متعصب شهواني تواكلي وما تزال حتى يومنا هذا تدرس للأطفال في المدارس الغربية معلومات خاطئة عن الإسلام والمسلمين .

ويعجب المرء عندما يجد أن الأديان الأخرى وبخاصة الأديان البشرية تعامل من جانب الغرب معاملة منصفة، والإسلام وحده من بين كل الديانات في العالم هو الذي يُهاجم ويُساء إليه، وهو وحده الذي يرمي بكل النقائص وترتعد فرائص الغربيين حينما يسمعون بالصحوة الإسلامية في البلاد العربية<sup>(١)</sup> ومن هنا فإننا نرى من مفكري الغرب وكتابة يحذرون أقوامهم من الصحوة الإسلامية والخوف من ظهور الإسلام على مسرح الساحة العالمية مرة أخرى .

ففي ٢٠٠٤/١٢/١٩ نشرة صحيفة "هيرالد تريبيون" مقالاً بعنوان "البحث عن العدل لمسلمي أمريكا" وكان قد سبق نشره في صحيفة "بوسطن جلوب" كاتب المقال هو عمر أحمد رئيس مجلس العلاقات الأمريكية الإسلامية والحقائق فيه تثير المخاوف من السياسة الأمريكية تجاه المسلمين. يعتمد المقال على نتائج بحث أجري على عينة عشوائية من المواطنين الأمريكيين قامت به شركة مستقلة متخصصة في إجراء استطلاع الرأي العام وكانت النتيجة أن: ٢٩% من أفراد العينة يعتقدون بوجود مؤامرة من المسلمين على أمريكا وشعبها، ويرون أن المسلمين يعلمون أبناءهم كراهية الآخرين، و ٢٧% يعتقدون أن المسلمين لا يقدرون قيمة الحياة الإنسانية، وهكذا يزداد انتشار الأفكار السلبية بين أكثر من ربع الشعب الأمريكي على الأقل ضد الإسلام والمسلمين .

وتسود بينهم معتقدات تتطوي على التمييز وعدم فهم حقيقة الإسلام، ويظهر ذلك بوضوح في المقالات والتعليقات الصحفية وفي الدراسات وتصريحات المسؤولين في مختلف المستويات. ويقول المقال: إن أعمال العنف التي وقعت ضد المسلمين الأمريكيين خلال ٩ أسابيع تالية لأحداث ١١ سبتمبر زادت على ٧٠٠ حادثة تراوحت بين القتل، والمنع من ركوب الطائرات للتخوف من وجود مسلم على متن الطائرة! وازدادت تصريحات المسؤولين والقادة السياسيين التي تكشف عن العداء، ومنها دعوة النائب "كوكساي" في إذاعة البوليس الأمريكي للقبض على كل مسلم وعربي . ومثل إصرار القس "جيرري فالويل" في برنامجه الإخباري الشهير ستون دقيقة على أن النبي ممداً كان إرهابياً!! .

ويقول القديس توما الأكويني عن النبي ﷺ أنه أغوي الشعوب من خلال وعوده لها بالمتع الشهوانية وحرف جميع الأدلة الواردة في التوراة والأنجيل من خلال الأساطير والخرافات التي

(١) الإسلام وقضايا الحوار، محمود حمدي وآخرون، ص ٣٨ .

كان يتلوها على أصحابه، ولم يؤمن برسالاته إلا المتوحشون من البشر الذين كانوا يعيشون في البادية .

أما مارتن لوثر فهو القائل عن القرآن ( أي كتاب بغيض وفظيع وملعون هذا القرآن المليء بالأكاذيب والخرافات والفظائع، وهو القائل عن الرسول ﷺ أنه خادم العاهرات وصائد المومسات، وعلى القساوسة أن يخطبوا أمام الشعب عن فظائع محمد حتى يزداد المسيحيون عداوة له، وأيضاً ليقوي إيمانهم بالمسيحية .

وفي مؤتمر كولورادو الذي انعقد بأمريكا في مايو ١٩٧٨م لتتصير كل المسلمين، تعلن المؤسسة الدينية البروتستانتية عن تجدر تناقضاتها وعدائها للإسلام فتقول:

إن الإسلام هو الدين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، والنظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعياً وسياسياً، ونحن بحاجة إلى مئات من المراكز لفهم الإسلام، ولاختراقه في صدق ودهاء، ولذلك لا يوجد لدينا أمر أكثر أهمية وأولية من موضوع تتصير المسلمين، ولكي يكون هناك تحول إلى النصرانية فلا بد من وجود أزمات ومشاكل وعوامل تدفع الناس أفراداً وجماعات خارج حالة التوازن التي اعتادها، وقد تأتي هذه الأمور على شكل عوامل طبيعية، كالفقر والمرض والكوارث والحروب، وقد تكون معنوية، كالنفرقة العنصرية، أو الوضع الاجتماعي المتدني، وفي غياب مثل هذه الأوضاع المهينة فلن تكون هناك تحولات كبيرة إلى النصرانية، ولذلك فإن تقديم العون لذوي الحاجة قد أصبح أمراً مهماً في عملية التصير، إن أحدى معجزات عصرنا أن احتياجات كثيرة من المجتمعات الإسلامية قد بدلت موقف حكوماتها التي كانت تناهض العمل التصيري فأصبحت أكثر تقبلاً للنصارى .

ويقول الكاردينال جاكو موبيفي أسقف مدينة بولونيا بإيطاليا ليعلن في سألته يوم ٢٠٠٠/٩/١٣م أنه لا تعايش بين الإسلام والمسيحية فإما أن تتحول أوروبا إلى المسيحية فوراً وإلا ستكون إسلامية مؤكداً .

وفي أوائل القرن العشرين كتب المؤرخ الفرنسي هانوتو قائلاً بأنه لا دواء للتعصب الإسلامي إلا نسف قبر النبي محمد ﷺ يومها مادت الدنيا، وارتجت الأرض، وكان الأمر كما وصف الشاعر أحمد محرم :

غضب الحماة لدين محمد غضبة نصر الإله بها وعز المصحف

هاج الحماة فهاج كل مشيع عجل الوقائع بالفوارس يغصف

ضجت شعوب المسلمين وراعهم ظلم الألي لولا السياسية أنصفوا

وعندئذ أضطر هانوتو أن يرجع عن رأيه في خطاب رسمي ألقاه عن بعد .

وها نحن اليوم نرى التطاول على ذات رسول الله ﷺ فكما هو معلوم طالعنا صحيفة دانماركية وتبعها صحف غربية أخرى بنشر رسومات كاريكاتيرية تضمنت الإساءة للرسول محمد ﷺ حيث ظهر في أحد رسوماها مرتدياً عمامة تشبه قنبلة ملفوفة حول رأسه .

مما أثار حفيظة المسلمين فهبوا هبة نصره لدينهم ودفاعاً عن نبيهم ﷺ فكان الرد عليهم من الغرب قاطبة أنها حرية صحافة ومن حق أي فرد أن يعبر عن رأيه الأمر الذي دعا إلى تصعيد الموقف بين أفراد الأمة الإسلامية ومقاطعة كل منتجات أي دولة تسيء إلى الإسلام وأي دولة تساند هذا الفكر المنحرف .

ورداً على هذا التصعيد الإسلامي صرح وزير إيطالي يوم الأربعاء ٢٠٠٦/٢/٨م، بأنه لا بد من التعامل مع المسلمين بقوة .

وتشهد المستشرقة الألمانية سيجريد هونكة على فظاعة الصورة التي صنعها الغرب للعرب والمسلمين ودينهم ورسولهم محمد ﷺ ليشحن بها وجدان العامة في الصراع ضد حضارة الإسلام فتقول: لقد استقر في أذهان السواد الأعظم من الأوروبيين الازدراء الأحمق الظالم للعرب الذين وصموهم جهلاً وعدواناً بأنهم رعاة الماعز والأغنام الأجلاف لابسو الخرق المهلهلة عبدة الشيطان تحرسهم فيالق من زبائنه من الشياطين وقد تربع على عرشهم الصنم الذهبي محمد وقد ركعت تحت أقدامه قرابين بشرية يذبحها أتباعه قرباناً وزلفى إليه فهم خلق غريب غير متحضرين متطفلون على الحضارة الهلينية الإغريقية مستبعدون من العالم الهليني وأقصى القول في هؤلاء المحمديين الدينيين أنهم ديدان حقيرة وسفلة أوغاد أعداء الله وأعداء المسيح لأنهم يعبدون الدرك الأسفل من الشياطين وعالمهم هو عالم الخرافات والأساطير وبلادهم بلاد الأضاحي البشرية من صنم ذهبي تسهر على سلامته عصابة من الشياطين .

وبعد هذه النظرة التاريخية على ما خطط ودبر وما يخطط ويدبر وما يضمره الغرب في نفسه تجاه الإسلام ونبيه وأتباعه هل من الممكن أن نلتقي والغرب؟ وكيف؟؟

هل من لقاء بين الغرب والإسلام؟

قبل الإجابة على هذا السؤال أود أن أقول:

إن المجتمع الإسلامي "مجتمع اتخذ الإسلام منهاجاً لحياته، ودستوراً لحكمه، ومصدراً لتشريعته، وتوجيهه في كل شؤون الحياة، وعلاقاتها فردية واجتماعية، مادية ومعنوية محلية ودولية. ولكن ليس معنى هذا أن المجتمع المسلم يحكم بالفناء على جميع العناصر التي تعيش بداخله ممن لا يدينون بالإسلام كلاً: إنه يقيم العلاقة بين أبنائه المسلمين وبين مواطنيهم - من غير المسلمين - على أسس وطيدة من التسامح والعدالة والبر والرحمة، وهي أسس لم تعرفها البشرية قبل الإسلام، وقد عاشت قرناً بعد الإسلام وهي تقاس الويل من فقدانها، ولا تزال إلى اليوم تتطلع إلى تحقيقها في المجتمعات الحديثة، فلا تكاد تصل إليها في مجتمع ما، وفي وقت ما إلا غلب عليها الهوى، والعصبية، وضيق الأفق والأنانية، وجرتها إلى صراع دائم مع المخالفين في الدين، أو المذهب أو الجنس أو اللون".

من هنا نعلم: "أن الإسلام ليس خطراً على أمة بعينها، أو جنس بذاته إنما هو خطر على الإذلال والتعصب، وما يخاف شعب شريف الغاية من عودته ولا جنس حسن النية من دولته، وإنما نجزم بأن كل عائق يوضع في طريق هذا الدين إنما هو لحساب القوة الغاشمة، والسلطات المتعفنة مدنية كانت أو كهنوتية"<sup>(١)</sup>.

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى أن خلقنا مختلفين في الشكل واللون واللغة والعقيدة قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ لَوْنٌ مُخْتَلِفِينَ، إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾<sup>(٢)</sup>.

من هنا يؤمن الإسلام بالتعددية ودعا إلى التعارف ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾<sup>(٣)</sup> وأولى خطوات التعارف هي الحوار وتفهم الآخر، لأنه لا يمكن بحال من الأحوال إنكار أمة بكاملها في زمن أصبح المسافة بينه معدومة والتقنيات الحديثة دمرت كل الحواجز. إذن لا بد من تقبل الآخر والاعتراف به، ليس معنى ذلك أن يكون هناك تطابق في الآراء والاتجاهات والعقيدة، فالتواصل - شأنه شأن التعددية - إنما يعني كل فريق الاحتفاظ بخصائصه وصفاته وقبول الآخر على ما هو عليه.

فلا بد أن نفرق أيضاً بين العقيدة والمعاملة، فإن المرء أو الشعب بعقيدته وفي الوقت نفسه يقيم مع من يخالفه أنواع العلاقات بكافة أنواعها انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ

(١) كفاح دين، محمد الغزالي، ص ١٣٨.

(٢) سورة هود: الآيات (١١٧، ١١٨).

(٣) سورة الحجرات: الآية (١٣).



بالحِكمةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ»<sup>(١)</sup> وقوله: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup> وقوله: «لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ، إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تُوَلُّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»<sup>(٣)</sup>.

هذا هو الموقف السليم من التعامل مع الآخر على ألا يكون من أحدهما اعتداء أو ظلم كاحتلال أرض من يراد إقامة العلاقات معه، وعلى ألا يكون من الفريق الثاني تفریط في عقيدته ولا تنازل عن حقه إلا بالقدر الذي يأخذ مقابله حقاً يعادله أو يفوقه، ليتحقق معنى التواصل والتعاون والعلاقات المشتركة .

كذلك على البيت العربي والإسلامي أن يستيقظ من غفلاته ويصحو من نومه وتخلفه في جميع المجالات وضعفه وتشر ذمة، على المسلمين أن يعدوا ترتيب البيت من جديد والبدء بإقامة قواعد الحدود الدنيا والضرورية للتضامن والتكامل في ميادين الاقتصاد والثقافة والتشريع والتعليم، وكذلك الترتيب والتعظيم لأوراق الإمكانيات والطاقة الطبيعية والبشرية في وطن العروبة وعالم الإسلام وبعث الحياة الحيوية في منظماتها الإقليمية والجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي هو واحد من أمضى الأسلحة لتصحيح صورة الإسلام وأمتنا وحضارتنا في عيون الآخرين، وفعالية هذا السلاح أقوى بكثير من مئات لا وآلاف من المؤتمرات التي نعقدتها لتحسين الصورة ولصد طوفان ثقافة الكراهية السوداء الذي يصبه الغرب الاستعماري على الإسلام والمسلمين<sup>(٤)</sup>.

إن الإسلام دين يخاطب المستقبل، ويتكلم بلغته في كل زمان ومكان، وليس معنى أن الإسلام دين المستقبل أنه دين يهدر الماضي، لأن هذا الماضي هو قاعدة انطلاق الأولى، وهو أيضاً لا يهدر الحاضر، لأن هذا الحاضر هو حركة العمل التي ينطلق منها الإسلام إلى المستقبل، وإنما معناه أن الإسلام دين الماضي والحاضر والمستقبل .

والإسلام بهذه الوضعية الفذة قادر على مخاطبة كل الكون، ووضع الحلول لما يشكل على الإنسان في الدين والاجتماع والسياسة والاقتصاد وكل مناسط الحياة الإنسانية .

(١) سورة النحل: الآية (١٢٥) .

(٢) سورة العنكبوت: الآية (٤٦) .

(٣) سورة الممتحنة: الآيات (٨ ، ٩) .

(٤) صحيفة الأهرام، د. محمد عمارة، الإسلام وصراع الحضارات ٢٠٠٥ .

وإذا أكدنا أن الإسلام يخاطب المستقبل، وأنه دين المستقبل، فتلك قضية حق تؤكدتها روافد عديدة: هو كذلك لأنه فطرة إلهية، وهو كذلك لأنه روح ومادة، وهو كذلك لأنه ثوابت ومتغيرات، وهو كذلك لأنه خاص وعام، وهو كذلك لأنه دنيا وآخرة، وهو كذلك لأنه بعبارة واحدة "شمول" .

لن أطلق للقلم العنان، ولن نسطر الصفحات تلو الصفحات من تاريخ الإسلام المشرق، وأسلوبه الأمتل في رعاية الحضارات للأمم التي انضوت تحت لوائه، صلحاً أو فتحاً، إنه تعامل مع حضارتهم بما يتفق مع أكثر النظم والأساليب مثالية في العالم، وعندما ينبه القادة على جنودهم بعدم قلع الزروع، وقطع الأشجار، وهدم البيع أو الكنائس وحرق المنشآت، والحفاظ على كل ما لا ضرر منه في حالة القتال مع الأعداء. هذه المعاملة المثالية ألا تعنى أن الإسلام يحرص كل الحرص على تحقيق أكبر نفع من الحضارات الإنسانية مراعاة لأحكامه في هذا الشأن .

إن الحوار الإسلامي المسيحي مطلب لا محيد عنه لإيجاد علاقة صحيحة وسلمية مع الغرب بقواه الفاعلة، ومنها المؤسسات الدينية، على الرغم من درجة العداء والإجحاف والظلم الذي لحق بالمسلمين، والتي لا تزال مرارته عالقة، فمن خلال الحوار والمصارحة والمكاشفة وطرح الآراء القيمة، فإنها ستسهم في التعاون والتفاعل والتواصل بين الديانتين والحضارتين .

### فوائد وثمرات الحوار:

إن الحوار إذا التزمت أهدافه وقواعده وآدابه فإنه سينجلي عن فوائد عظيمة، وينكشف عن مزايا كثيرة، تستحق أن يبذل في سبيلها كل غال ونفيس، مما يبرز أهميته، ويؤكد ضرورته، وأن البديل عنه ليس إلا الصراع والصدام مما يعود على الحياة بالتدمير والتخريب أو أن يختار الناس الأكفاء والانزواء بعضهم على بعض، وهو أمر غير ممكن لما فطر عليه الناس من حياة التمدن والحاجات المتبادلة، التي تقتضي ضرورياً من الحوار وتبادل الأفكار والخبرات .

وهذه الفوائد المدونة يتوزعها الحوار بنوعيه: حوار الحجج وحوار التعايش، فمن هذه

الفوائد:

(١) الحوار قد يتضمن الكشف عن عيوب الذات ونقدها وتمحيصها، ومن فوائد الحوار أنه يعلم المحاور قبول النقد من الآخر، وعدم التبرم به، ونقد الذات أمر مطلوب شرعاً، وربما كان الآخر أبصر بعيوبي مني، فالنفس مولعة بتحسين أمرها، فمن أهدى إلى عيوبي، ولو كان

ممن يخالفني الرأي، ينبغي أن أستفيد منه، سواء علم بذلك أم لا، فمن الحماسة أن أرى عيباً في ولا أسارع إلى إصلاحه معتزلاً ومتعللاً بأن التوجيه صدر من غيري .

(٢) الحوار فرصة لاختيار الآراء وامتحان وجهات النظر المختلفة فرصة لإظهار الحق وبيان صحته، وإعلان جماله، وهو فرصة أيضاً لكشف الباطل وبيان ضعفه، وفضح وجهة القبيح فلا تعلق به النفوس .

(٣) القبول بالحوار دليل ثقة واطمئنان لما لديك من معارف، أو دليل رغبة صادقة في اختيارها، إنها رغبة في المزيد، رغبة في التطور والسعي نحو الكمال، أو رغبة في التأكد، أو في إشاعة الخير .

(٤) القبول بالحوار دليل رغبة في التواصل مع الآخرين والتعاش معهم والبحث معهم عن القواسم المشتركة .

(٥) القبول بالحوار علامة على تحقيق مظهر اجتماعي حضاري، إنه رفض لحياة العزلة، والأنفاق المظلمة، والجيوب الخائفة، إنه رغبة في الظهور ورفض للانزواء .

(٦) نحن لا ننتظر أن نتفق على كل التفاصيل، ولكن بالحوار يحصل التواصل ويخفى التناحر، وتكون القضايا محل الاختلاف على أمل اللقاء والتفاهم، وربما يكون ذلك قريباً، بهذا الأمل تحصل المودة، ويعلو معدل الثقة بين الأطراف، فتختفي النفرة، ويحدث التقارب، ويغيب التباعد، ويكون التعاون ويقل الصراع .

(٧) الحوار وسيلة لكي يفهم الآخر ما نحن عليه، ويعرف شخصيتنا وديننا وحضارتنا، ومن ثم نحاول وقف حملات التشويه والتزييف التي لا مبرر لها، وبعضها قائم على سوء الفهم نتيجة حملات التضليل التي يقودها أصحاب مصالح ذاتية وأحقاد دفينية، لا يريدون للبشرية كلها خيراً ولا رشاداً، وإنما يعتبرون هذه الأعمال المجنونة وسيلة سيطرتهم، وكسبهم غير المشروع، بالحوار ينكشف هؤلاء ويفتضح أمرهم .

(٨) بالحوار يتم اختبار المسائل العلمية وأدلتها وتمحيصها وتخليصها من مظاهر الضعف، لأنه عُرف صحة ما يسندها من البرهان والدليل وضعف أو خطأ من تُعارض به من الشبهات والأوهام .

- (٩) بالدربة على الحوار والمناظرة تحصل ملكة وقدرة على الحوار، وذلك بتشحيذ الأذهان، وتصقيل الخواطر، فيتعرف المحاور على طرق إبرام الحجج الصحيحة وتأييدها بما يدل على صحتها، والرد على ما يضادها ويعارضها، وذلك أيضاً بالحجة والبرهان .
- (١٠) الصورة الحوارية للحجة أكثر جاذبية للإنسان، وأشد وقوعاً في النفس من الصورة الإنشائية التقريرية، وهي طريقة مؤثرة في التعليم والتربية .
- (١١) إن ما توصل إليه المحاور من نتائج بفضل محاورته أمر يعتز به، ويتمسك به، لأنه صار عنده أكثر وضوحاً ورسوخاً بعد تعريضه للامتحان والتمحيص، والاعتراف والانتقاد، فقاوم وثبت .
- (١٢) بالحوار يكون الوقوف في وجه الصراعات بشتى أنواعها، وفي كافة أشكالها، سياسية أو اجتماعية أو مذهبية أو دينية، وامتصاص ما يصدر عن ذلك من تشاحن وتباغض، فبه نعطي الآخر فرصة للتعبير عن رأيه، والكشف عما في نفسه، أما حرمانه من ذلك فيدفعه لأن يعبر عما في نفسه بصورة تصادمية عنيفة .
- (١٣) بالحوار يتم الوقوف على دقائق العلوم، ودفائنه، وتبادل الفوائد ونشرها، حتى إن الأئمة كانوا يأمرون تلاميذهم بالمناظرة ويشجعونهم عليها .
- (١٤) محاربة روح التقليد والتعصب للآراء من الاكتفاء بالقديم لكونه قديماً عتيقاً، لا لكونه صواباً سديداً .
- (١٥) بالحوار يستطيع الناس تقبل الآراء المختلفة حول المسألة الواحدة باعتبارها أوجهاً لها، ويتقبل الناس الاجتهادات المتباينة حول النص الواحد باعتبارها تنوعاً وتوسعة، فلا يضيق بعضهم ببعض، ولا يتهم بعضهم بعضاً .
- (١٦) القضاء على تيارات الغلو والتطرف في المجتمع، من اتجاهات التكفير والعنف، إلى اتجاهات الانزواء والانطواء إثارةً للسلامة، وقديماً ثاب بالحوار آلاف من الخوارج إلى الحق والسنة، وبالحوار انتصرت الحجة والبيان أمام العسكر والسلطان<sup>(١)</sup> .

(١) مجلة الأحمدية، العدد السادس عشر، محرم ١٤٢٥هـ / فبراير ٢٠٠٤م، ص ٣٤٩، تصدر عن دار البحوث والدراسات الإسلامية وإحياء بدوي .

## الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز حول « الحوار مع الآخر وأهميته في الفكر الإسلامي » نستطيع أن نصل إلى عدة حقائق مهمة نوجزها في النقاط التالية:

إن الحوار أصبح ضرورة في وقتنا الراهن أكثر من أي وقت مضى، وهو وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله وإيصال هذه الدعوة إلى خلق الله جميعاً بصورة تتقبلها العقول .

تبين لنا من خلال الدراسة إذا توفر للحوار شروطه وأركانه وآدابه بين طرفي الحوار نستطيع أن نصل إلى نتائج ترضى جميع الأطراف .

كذلك تبين أن التعددية والاختلاف سنة من سسن الله في قوله وبالتالي لا يمكن أن يجتمع الناس جميعاً على رأي واحد كما أنه من المستحيل أن تؤمن البشرية كلها بدين .

من خلال الحوار والمناقشة يستطيع علماء الإسلام الرد على مزاعم ومفتريات الأعداء وإيراز قيم ومبادئ الإسلام بصورة صحيحة بعيداً عن حملات التشويه التي يقودها أعداء الأمة في وسائل الإعلام المختلفة .

إذا توصل أصحاب الحوار إلى نقطة تلاقي بلا شك سينقذ البشرية من ويلات الحوار والإبادة البشرية .

لا بد من الاعتراف بأن العالم الإسلامي يمر بمرحلة ضعف وتشرذم وتخلف في جميع المجالات، وهذا بدوره أدى إلى تكالب الغرب المسيحي على دعائم الأمة وأصولها ونهب ثرواتها.

لذلك لا بد من صحوة لهذه الأمة وعودتها إلى شرع ربها لتتال القيادة في هذا الكون، لأنه لا مكان فيه لضعيف ولا خامل ولا منغلق على نفسه. متى هو قل عسى أن يكون قريباً .

وبالله التوفيق .

د. محمد محمد محمد عيسى

جامعة الإمارات

كلية الشريعة والقانون